مع الصحف

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي
عضو المجمع

وردت "الصحف" في لغة التنزيل وأريد بها كل شيء مكتوب على رقوق أو عسب أو لخاف: كما كان الأمر في "الصحف" التي احتفظ بها بعد رسول الله -ﷺ- في بيت حفصة، وهي التي اتخذ عثمان - رضي الله عنه- أصول المصاحف في "جمعه" المعروف المشهور الذي اضطلع به جلّة من الصحابة من كتاب الوحي وغيرهم فانتهوا إلى ما انتهوا إليه في استقرائهم واختياراتهم واستحسانهم وجمعهم. و"للصحف" في لغة التنزيل العزيز حضور وافٍ، فقد جاء في قوله تعالى: "وإذا الصحف نُشِرت"(١) كما ورد في قوله تعالى: "صُحف إبراهيم وموسى"(٢).

و الصحيفة" و"الصحف" شيء عرفه العرب قبل الإسلام، وصحيفة "المتلمس" الشاعر الجاهلي وخبره مع الشاعر طرفة بن العبد والقصة مشهورة معروفة في أدبنا القديم "الجاهلي".

وجاء الإسلام وأقبل المسلمون على لغة التنزيل يدرسونها ويقفون على معانيها وما أخذوا به من أسرارها فكان علمٌ. وكان منهج في الدرس والتلقّي، وكان من ذلك أن هُرع أهل العناية إلى الأعراب يستفتونهم ويأخذون عنهم، حتى إذا عادوا بذخائر لغوية وأدبية تتصل بالعربية والعرب وأيامهم" وأخبارهم تصدروا لهذا الجرس الذي شقي به طلاب العلم، فكان مما يُحمَد عليه طلاب العلم أن يكون علمهم مأخوذاً عن شيخ من أولئك المشايخ النحارير يسمعون عنهم فيروون ما سمعوا، فكان درس وكانت "أمالٍ" يمليها ""الجهابذة" الأعلام، وكانت رواية وقراءة.

---

(١) ١٠ سورة التكوير.
(٢) ١٩ سورة الأعلى.

وكان أن درجت أفواج من طلاب العلم على هذا السنن فأخذوا واستوعبوا ثم صنفوا الكتب ثم غَبَرَ دهرٌ فخلف بعد أولئك "طلّاب جُدد لم يكن لهم أن يسمعوا كثيراً على الشيوخ. ولم يُتحَ لهم أن يقصدوا بوادي الأعراب. يأخذون عن أهلها، ولكنهم تعجلوا المسيرة، ووجدوا أن طريق الأوائل مضن عسير، فلم يكن منهم إلا أن "عمدوا" إلى "صحف" المتقدمين ورسائلهم ومصنفاتهم يقرأونها فيفيدون منها. وكان لا بد أن يعرض لهؤلاء في درسهم وقراءتهم الخطأ بسبب من التشابه في رسم الحروف، وبسبب ما يكون من "الإعجام" و"الإهمال"، وبسبب ما يعرض من الخطأ الذي مردّه الأبنية الصرفية والموقع النحوي الإعرابي للكلمة في موضعها. ومن هنا كان هذا "الخطأ" الذي يتصل بالرسم و"الإعجام" و"الإهمال" قد أخذ اسمه من مادة "صحف" فكانون يأخذون العلم من "الصحف" و"الكتب"، ولم يسمعوه من شيخ رواية ودراية. وصار هذا الذي لم ينل العلم عن طريقه الذي درج عليه المتقدمون من أهل العلم "مصحِّفاً"، أي مرتكباً للتصحيف وهو الخطأ. وقديماً قالوا: لا يؤخذ العلم من "صُحُفي"، وهو الذي عوّل على "الصحف في تلقّيه للعلم، وقد ذمّوا "المصحِّف" بتشديد الحاء ونبزوه، ومن هنا نفهم قول أبي نواس في رثائه لخلف الأحمر:

أودَى جماعُ مُذ أودَى خَلَفْ
مـن لا يُعدّ العلم إلّا ما عَرَفْ
قَلَيذمٌ من العَيالِم الخُسُف
كنّا متى نشاء منه نغترفْ
روايةً لا تُجتَنى من "الصُحُفْ[3]

---

(٣) الديوان.

أقول: هذه نبذة تاريخية موجزة تتصل بـ"الصحف" وما كان من أمرها لدى الدارسين الأوائل.

ثم جاء عصرنا فكانت "صحف" جديدة، وهي غير "الكتب" القديمة، ولكنها مظانٌّ جديدة فيها "الخبر" و"الرأي"، وما يعرض في البلد من شؤون اجتماعية واقتصادية وسياسية و"علمية"، وهي ليست خاصة بالبلد الذي تحرّر فيه، وإنما تنفتح على بلاد فسيحة الأرجاء من أقاليم الدنيا. إنك تجد فيها ما يتصل ببلدك كما تجد فيه ما يتصل ببلدان العالم المعمور.

وقد كان لنا "صحف" نحن العرب منذ أوائل هذا القرن، ولما كنا في أعقاب القرن المنصرم وأوائل هذا القرن من الأمم المغلوبة على أمرها، المتأخرة في مسيرتها عن غيرها من الأمم المتقدمة، ولما كنا أيضاً قد انقطعنا عن تاريخنا الثقافي وحضارتنا العريقة أقول: لما كنا بتلك الأحوال من التأخر والتخلف، صرنا نتطلع إلى العالم المتقدم وكان من جرّاء ذلك أن كانت صحفنا في تلك الأحقاب معتمدة على ما ترفده به صحف العالم المتقدم ولا سيما ما كان من حضارة الغرب.

أقول: وكما أفادت لغتنا العربية في أعقاب القرن الماضي وأوائل هذا القرن مما حفلت به اللغات الغربية استعانةً بذلك الوافد الدخيل، على التقرب من متطلبات العصر، كان ذلك الدخيل في الوقت نفسه مما حمل الضيم على العربية.

وقد كنت وقفت على لغة الصحف وقفة طويلة وكتبت في أساليب الصحفيين التي جنحت بالعربية المعاصرة إلى لغة خاصة ذات سمات خاصة هي "لغة الصحف ولا يعنيني هنا أن أشير إلى أنها لغة لم تتصف بسلامة المبنى والمعنى، وأنها تجاوزت في طرائقها المشهورة من قواعد العربية نحواً وصرفاً.

لم أرد إلى شيء من هذا على أنه موجود فيها، ولكني أقول: إنها نمط خاص في التطور التاريخي" لهذه اللغة.

وقد حفزني الأمر إلى أن أعود إلى هذه اللغة عودة أخرى وذلك لأني، وقد وجدت نفسي في بلاد المغرب الأقصى، وفي حاضرته الرباط، وأنا أقرأ الصحف المغربية، مضطرٌ إلى أن أقف على هذه اللغة التي استغربت من أمرها مسائل، وها أنذا أعرض لهذه "الغرائب" "النوادر"[٤]:

١- قرأت في صحيفة "الاتحاد الاشتراكي"[٥] المؤرخة في اليوم الثالث من تموز (جويلية) ما يأتي:

عقب انسحابه المفاجئ من مؤتمر القمة الإفريقي التاسع عشر الذي انعقد في أديس أبابا عاصمة أثيوبيا، وعودته من جولة في بعض بلدان المشرق العربي، صرح الرئيس معمر القذافي بأن ليبيا قامت بواجبها تجاه الصحراء العربية" وأنه لم يعد هنا أي مشكل أو خلاف بين المغرب وليبيا، وإنما المشكل هو المشكل القومي العربي أي مواجهة الخطر الصهيوني.

أقول: في هذا الذي ذكرته من كلام "المحرِّر" في الصحيفة المشار إليها شيء، يجانب المشهور من القاعدة النحوية، وهو "عود الضمير على متأخر عنه" ليس إلى توجيهه أو تأويله من سبيل، وتلك قاعدة أدركناها ونحن صبية شُداة. وأنت ترى أن الضمير في "انسحابه" وهي الكلمة الثانية، ثم الضمير الآخر في "عودته" يعود على "الرئيس" في قوله: "صرح الرئيس معمر القذافي". وهذه عربية ملحونة، وذلك لأن بناء الجملة على هذه الصفة الأعجمية شيء لا نعرفه في عربيتنا الفصيحة، وربما صعب عليك أن تجده في الألسن الدارجة. إن تجاوز هذه

---

(٤) قلت: "النوادر" وأريد بها ما أراد القدماء بالنوادر التي كانت ألفاظاً غريبة.

(٥) صحيفة يومية مغربية.

القاعدة النحوية يقدح في جمال العبارة وحسن أدائها، من هنا كان أغلب ما اشتمل عليه علم النحو من فوائد شيئاً يتصل الوفاء به بالبيان العربي في صفائه وسماحته وفطرته.

ولا أريد أن أترك عبارة هذه الصحيفة مكتفياً بمسألة "عود الضمير على المتأخر" بل أتجاوز ذلك إلى شيء آخر ظهر في هذه العربية المعاصرة ومنها عربية "الصحف"، وذلك كقول "المحرر" نفسه في هذا الذي أثبتناه من كلامه:

".... وأنه لم يعد هناك أي مشكل"

أقول: إن قول المعربين في عصرنا: إنه لم يعد" هو شيء من الدخيل الوافد من اللغات الغربية وأظن أن الأصل الفرنسي هو الذي جاء بهذا الأسلوب المولّد الدخيل، فهو من غير شك من قول الفرنسيين:

."il n'est plus"

وقد يستغرب القارئ هذا ويحمله مني على الادعاء أو الخيال الكاذب، فأقول: لم نعرف نفي الفعل "يعود" بـ"لم" لإرادة هذا المعنى في أساليبنا العربية الفصيحة، وذلك لأن المعنى: "إن الشيء غير مُشكل، أو لم يَبقَ في الأمر مشكل"، فلم يؤلَف في العربية استخدام الفعل "يعود" لإرادة هذا الضرب من نفي الشيء.

ثم أقول: واستعمال "المشكل" شيء جميل في عربية إخواننا أهل الشمالي الإفريقي، والكلمة في بنائها على اسم الفاعل من العربية الفصيحة القديمة، وذلك لأن "المشكل" ما أشكل أمره ومعناه وما يتصل به، ولذلك عرفنا من أسماء الكتب "تأويل مشكل القرآن" و"تأويل مشكل الحديث" من مصنفات ابن قتيبة وغيرها من أسماء الكتب.

غير أن المشارقة من العرب بنوا كلمة جديدة مؤنثة هي "المشكلة" وكأنهم وضعوه ليقابلوا بها "Problem".

هذا شيء من تاريخ هذه الكلمة المفيدة.

٢- وقرأت في هذه الصحيفة أيضاً قول المحرِّر نفسه:

"…. فعلى مَدَى خمسة أيام حلّل دارسو اللغات بمعناها الواسع لغة التواصل الأدبي والسينمائي والمسرحي والإذاعي والتلفزي ولغة الإشهار…".

أقول: لقد جاءت الكلمات في صورتها الأعجمية مع شيء من التغيير في الأصوات حيناً، وفي الأبنية، أو في كليهما حيناً آخر. إن التعريب على هذا النحو شيء حسن، وقديماً درج الأوائل على هذا السنن الواضح. غير أني أقول: إن "التفلزة" على هذا الوزن توحي بالمصدر، وليس الآلة أو الأداة أي ما يسمى "الجهاز" في عربيتنا المعاصرة، ولعل الذي جنح إلى استعمال "التِّلفاز" كان ألصق باللسان العربي، وذلك لأن "تِلفاز" وهو "تِفعال" نظير التمثال" و"التِجفاف" في كلام العرب. هذه مسألة يسيرة مفيدة يكون فيها العود إلى الأصول أكثر فائدة وأجلَّ عائدة.

وفي هذه العبارة التي أثبتها من الصحيفة شيء آخر، وهو "لغة الإشهار". أقول: وقد يقف المشارقة أمام هذه الكلمة ولا يتّجه منها لهم شيء في القراءة الأولى حتى إذا أطالوا النظر وعرفوا من سياقها شيئاً أدركوا أن لغة "الإشهار" هي لغة الإعلام، وهي عندهم تقابل الكلمة الفرنسية "Publicité" وترجمة الكلمة الأجنبية هذه تطابق "الإشهار" أكثر من كلمة "الإعلام".

وهذه من سمات هذه العربية الصحفية في أقاليم البلاد العربية الإفريقية، ومثل هذه السمات اللغوية الخاصة بهذه الأقاليم الشيء الكثير.[٦]

٣- وقرأت في هذه الصحيفة أيضاً:

... وانحصر "تدخل" البروفيسور "كالفان" حول تطبيقات السيميولوجية المتعدّدة.

أقول: والكلام على محاضرة علمية في "السيميولوجيا"، هي شيء من مواد علوم اللغة في هذا العصر، يراد بها العلم الذي يعني الاتصال بوسائل مختلفة منها الكلمة ومنها الإشارة ومنها الحركة وأشياء أخرى.

وليس من وَكدي أن أعرض لهذا الذي يشقى به الغربيون مما يتصل باللغة كالسيميولوجية والبنيوية وغير ذلك، ولكني أريد أن أقف القارئ على شيء من الدخيل الجديد في العربية المعاصرة، ولا سيما في أقاليم الشمالي الإفريقي، تلك العربية التي ينظر الناطقون بها إلى لسان آخر هو الفرنسية يستوحونها ويفيدون منها.

ومن هذا ما جاء في العبارة التي اقتطعتها من "الصحيفة" في خبر "المحاضرة" التي كانت في "السيميولوجيا" وهو قوله:

و "انحصر تدخُّل البروفيسور..."

أقول: قد يقرأ أهل المشرق مثلاً هذا فلا يهتدون إلى "التدخل" وما المراد به، وقد يمر به أحدهم فلا يصل منه إلى شيء. غير أن العارفين باللغة الفرنسية أو ممن اتصلوا بالفرنسيين يدركون أن "التدخل" هو "خطاب" أو "تعليق" أو نحو هذا،

(٦) لقد عرض إلى طائفة من هذه المولدات المستشرق الفرنسي شارل بلا في كتابه "العربية الحيّة".

يشارك به مُحاضر في مؤتمر أو ندوة أو ملتقى، وقد يكون "التدخّل" شيئاً غير موجز بل يكون خطاباً أو بحثاً.

وقد تسأل: وكيف أخذ إخواننا المغاربة والجزائريون هذا، والجواب: أنهم ترجموا به الكلمة الفرنسية "intervention"، وهذه الكلمة في الفرنسية من الفعل "intervenir" ويفيد التدخّل أو الدخول، فقد يتدخل الرجل بين جماعة ويشاركهم، ويتدخل الشيء في شيء آخر.

أقول إن الترجمة دقيقة، ولكنها ولَّدت غرابة واستغلاقاً وذلك لأن "التدخل" في العربية لم يُؤلف استعماله على هذا النحو، وإن كان من الجائز أن يقول الرجل: قد "تدخّلت" في مناقشة الرأي الذي أبداه المحاضر. وعلى ذلك لا يمكن لقارئ في المشرق أن يفهم "التدخل" في الصحيفة على أي وجه إن لم يكن يدرك ما للكلمة الفرنسية من أثر.

وقد ترجموا الكلمة الفرنسية المذكورة أيضاً بـ "التداخل" وربما قرأت "المداخلة" فقد تقرأ في أسلوب إخواننا أهل الشمالي الإفريقي تنبيه عريف الندوة إلى المحاضرين قائلاً: ينبغي أن تكون "المداخلات" موجزة(٧).

وليس أمر هذا الجديد المولّد الدخيل غريباً في هذه العربية الإقليمية فهو كثير قد يتجاوز الحصر.

وفي هذه العربية شيء آخر، فإذا كنا في المشرق العربي نلتزم بمصطلح "العمل" لما يقوم به العامل في المصنع والموظف في الوظيفة وغيرهما، فإن

---

(٧) ولو أردنا أن نستقري هذا الدخيل الذي حفلت به هذه العربية الإقليمية لكان لنا من ذلك الكثير، ولكني أرى أن "أذكّر" بشيء ألفه المشارقة في هذه العربية، وربما استعاروه من إخواننا في الشمال الإفريقي وهو لفظ "الأطر" أو "الإطارات" جمعاً.

إخواننا في الشمال الإفريقي قد اتخذوا "الشغل" مصطلحاً لهم فيقال عندهم مثلاً: الاتحاد العام للشغل. وأقرأ مثل هذا في "الصحيفة" نفسها.

٤- انتصار الكونفدرالية الديمقراطية للشغل.

و"الشغل" هنا هو "العمل"، والأمر متصل بـ "العمال". ولا أريد أن أقف على "الكونفدرالية" التي تعني لوناً من الاتحاد على نظام خاص يعرفه أهل هذا الفن في السياسة والاجتماع، ولكني أقول:

إن أهل الحاجة من أصحاب الاختصاصات قد عَرَّبوا المصطلح الأجنبي بيسر وخفّة دون ضجة أو جعجعة أو السؤال من المجامع اللغوية، فأخذوا المصطلح الأجنبي وكسعوه بالياء المشددة مع التاء على طريقة المصدر الصناعي كالمادية والمثالية والنوعية والكمية وغيرها، فقالوا الديمقراطية والارستقراطية والفدرالية والكونفدرالية وغير ذلك، ولم ينتظروا رأي أهل الصنعة من أعضاء مجامع اللغة، وحسناً فعلوا.

أقول هذا لأني أحسّ أن أصحابنا أعضاء المجامع قد يتجاوزون الحدود، فيكثرون المناقشة ويظلون في خلاف طويل في أمر مصطلحات سلاح الطيران مثلاً، وقد اصطلح عليها أهل الاختصاص من الضباط العاملين في هذا الميدان ليقابلوا بها المصطلح في اللغة الإنكليزية، وهم أعرف بها وبحقائقها، ولكننا في المجامع لا نقرهم على صنيعهم بيسر، فيبدأ مع خبرائهم العسكريين جدل طويل لم يكن إلا عبثاً لا طائل وراءه.

وقد يحسن أعضاء المجامع صنعاً لو أنهم اقتصروا على التنبيه على ما في هذا المصطلح من تجاوز على قواعد اللغة في أبنيتها واشتقاقها. إننا نعلم أن هذه المصطلحات موافقة أو قريبة أحياناً مما سُمِّي المصطلح "الموحِّد" في "المعجم الموحِّد" الذي قام به الخبراء العسكريون في الجامعة العربية منذ سنين.

لو أن أصحابنا أدركوا صنيع اليهود في أرضنا المحتلة في المصطلح الجديد لعلموا أنهم اهتدوا إلى الطريق أمام هذه المئات من الآلاف من المصطلحات العلمية في العلم الجديد. لقد أدخل اليهود المصطلح الجديد من اللغات الغربية ولا سيما الإنكليزية ولم يغيّروا فيه شيئاً، وذلك لأنهم مدركون أن لغتهم قديمة ناقصة لا تحوي إلا القدر القليل من الكلم القديم.

إن تلكّؤ المجمعيين العرب في الاتفاق على المصطلح الجديد دفع بأهل الاختصاصات إلى أن يتخذ كل فريق منهم مصطلحاً له فكان من ذلك أن وقعوا في خطأ لغوي لم يكونوا على علم به ذلك أن العربية على سعتها وسماحتها لا تقبل ما خولف فيها وجوه القياس في أبنيتها وصيغها.

ووجه المخالفة أن الفعل من "استبيان" هو "استبان" وهذا الفعل لا يمكن أن يكون مصدره إلا "استبانة" مثل "استقامة" والفعل "استقام".

أقول: لو وُجد في العربية الفعل "استبيَنَ" مثل "استَحسَن" لكان "الاستبيان" بناء صحيحاً، ولكن معجمات العربية لم تثبت هذا. غير أني أميل إلى شيء آخر أذهب فيه إلى وجود هذا الفعل، أو أني أسعى إلى إحداثه بسبب شيوع "الاستبيان" الذي ما أراني أدفعه بقولي: إنه بناء لا وجود له في معجمات العربية، ذلك أن أهل الرأي في العلوم الاجتماعية قد درجوا عليه وشاع في استعمالهم شيوعاً عجيباً، وهم يقابلون به الكلمة الأعجمية (questionnair). ولو أنك واجهتهم بالخطأ، وأن هذا المصدر مما لم تشر إليه المعجمات، ما استجابوا إليك ورفضوا البديل له وهو "الاستطلاع" مثلاً.

أقول: إذا كان هذا وجه الأمر فهلا نبحث في العربية لنجد وجهاً يعين على إحداث الفعل "استبيَنَ" الذي تحوّل إلى "استبان". إن إحداثه يندرج في باب الاحتفاظ بالأصل قبل "الإعلال". ويؤيدنا في هذا أن العربية أعلَّت الكثير من

الكلم، واحتفظت بطائفة على أصولها ومن ذلك ما جاء في بنات الياء من الأفعال:

قالوا: "استَغيلَ" الشجر بمعنى التفّ على الأصل، ولم يقولوا: "استغالَ"، ومثله "أغيَلَ" الشجر، على الأصل ولم يقولوا: أغال.

وقالوا "استَفيَلَ" الجَمَلُ ولم يقولوا: استفال.

وقالوا" أغيَمَت" السماء على الأصل كما قالوا: أغامَت بمعنى غيَّمَتْ.

وقالوا: "أغيَلَت" المرأة بمعنى أرضعت طفلها "الغَيْل" وهو لبنها وهي حامل. كما قالوا: "أغالَت" و"استغيَلَت"، وهي "مُغيل" بالمدّ و"مُغيل" بالياء المكسورة.

هذا شيء من الأفعال من بنات الياء ما كان حقه "الإعلال"، فقد ورد مُعَلّاً كما ورد على الأصل.

فأما ما جاء من بنات الواو من الأفعال فهو كثير ومنه:

"أجوَدَ" و"أجادَ" الرجل، إذا كان ذا دابّة "جواد أو فرس جواد، وكذلك "استجادَ" و"استجوَبَ" و"استجابَ" وكل منهما بمعنى، فقولنا "استجابَ" معروف، فأمّا "استجوَبَ" فمعناه استفهم وطلب الجواب.

وقالوا: "استصوَبَ" و"استصابَ".

وقالوا: "استحوَذَ" ولم يقولوا: "استحاذَ".

وقالوا: "حوِرَ" و"عَوِرَ"، ولم يقولوا فيهما: "حار" و"عارَ".

أقول: إذا كان هذا ما هو معروف في العربية، أليس لنا أن نحدث أصل "استبانَ" ونعيده إلى الوجود وهو "استَبْيَنَ"، لنقول بصواب "استِبيان" التي لم نجد وسيلة إلى دفعها وحملها على الخطأ، لشيوعها وإصرار القوم على استعمالها. غير

أني أود أن يفهم القارئ أني لا أجوّز الخطأ بحجة الشيوع بل إني أدفع الخطأ وأرفضه، ولا سيما ذلك الذي يهدم أصلاً من أصول العربية.

وقد انتهيت مما وقفت عليه في صحيفة "الاتحاد الاشتراكي" المغربية، غير أني وجدت أن من الخير أن أمضي في هذه اللغة الصحفية التي حفلت بالجديد الغريب كثيراً ولنقف قليلاً على جملة من الكلم المجموع فأقرأ فيها مثلاً:

".... الانتهاكات والخروقات في انتخاب اللجان الثنائية بقطاع الصحة".

ومن المفيد أن أقف على الكلم المجموع في لغة صحف هذه الأيام فقد كثر حتى غدا شيئاً يسترعى النظر.

أقول: إن هذه الجموع هي في الأعم الأغلب جموع لمصادر، وليس في جمع المصدر من ضير فقد ورد شيء منه في العربية، لقد جمع "الخير" على "خيرات" في لغة التنزيل كما في قوله تعالى: "وأوحينا إليهم فعل الخيرات" ٧٣ سورة الأنبياء.

وليس لنا أن نقول: إن كلمة "خير" ليست من المصادر فقد استعملت في العربية استعمالاً كثيراً على المصدرية. وقد سهل في العربية جمع المصدر، وهو من أسماء المعنى في الأصل، حين تحوّل به المعربون إلى اسم من أسماء الذات، فإذا قيل: "لقاءات" أو "نزاعات" فكأنهم أرادوا ما يكون في "اللقاء" أو "النزاع" من أحداث، وما يتصل بذلك، فكان ذلك مسوغاً لجمعهما.

ومثل هذا "الانتهاكات" التي وردت في عبارة الصحيفة التي أثبتناها.

غير أن ورود هذا الكلم المجموع في صحفنا قد تأتي بسبب من الترجمة. فقد قالوا "النجاحات" وأرادوا بالكلمة جمع الاسم وليس المصدر، أي ما تمَّ النجاح فيه من الأعمال والمنجزات.

وهذا من غير شك يومئ إلى أن المحرر العربي قد نظر إلى الكلمة الأجنبية وهي Succes وهي مجموعة في الفرنسية دائماً مختومة بعلامة الجمع، وكذلك في الإنكليزية، فلما نقلها إلى العربية جعلها جمعاً.

ولنقف على "خروقات" بمعنى "الانتهاكات" وهي من "خَرْق" وقد جمعت على "خروق" بعد تحولها إلى الاسمية وابتعادها عن المصدرية. غير أن "المحرر" لم يشعر بجمعها هذا فأراد أن يؤكد الجمع فصار إلى "جمع الجمع" فقال "خروقات". إن باب جمع الجمع مقيّد محدود، وليس لنا أن نتسع فيه، فقد قالوا: رجالات، ولم يريدوا بها الجمع الكثير بل أرادوا القلّة وأدنى العدد، وذلك أن "الرجالات" تعني الجماعة القليلة من الرؤساء والوجهاء والأعيان، وليس الكثير من "الرجال". ومثل هذه "البيوتات"، و"البيوت" جمع "بيت" وهو معروف فأما "البيوتات" وهي جمع الجمع فالمراد بها جملة قليلة من "البيوت" أو الأُسر ذات الوجاهة، وقالوا: "بيوتات" قريش كبني هاشم وبني أمية وأسر أخرى.

وقرأت بأَخَرة في حديث من أحاديث الصحف خصص للعمارة الحديثة فكان فيها ما أنا مثبته: إن "المعمار" الحديث يقوم على "تقنيات" العصر المعقد....".

وإطلاق "المعمار" على "العمارة" جهل بالعربية، وذلك لأن "المعمار" من ألفاظ المبالغة كالمِطعان والمِطمام ونحو ذلك، وليس فيه شيء من المصدرية أو نحوه. وقد عرف "المعمار" شهرة لطائفة من الرجال ومنهم "ابن المعمار" البغدادي.[٨]

ولما كان الكلام على مادة "عمر" وجدت أن المناسبة تدعو إلى الوقوف على "الاستعمار" الذي صار من مصطلح العصر ودلالته علمية فنية تاريخية يطول الحديث عنها.

---

(٨) وهو أبو محمد عبدالله بن إسماعيل الأسدي البغدادي، جلال الدين ابن المعمار، كاتب أديب، لقب بالفيلسوف، له شعر، من أهل بغداد توفي بالحلة سنة ٧٤٢هـ. انظر الأعلام للزركلي ٤/١٩٨.

أقول: إن هذه الدلالة جديدة، وليس من ضير أن نعطي هذه المعاني لكلمة "الاستعمار". وهذا يعني أن من طرائق توليد المصطلح أن تؤخذ الكلمة ذات الدلالة الخاصة القديمة وتعطى دلالة اصطلاحية جديدة.

إن كلمة "استعمر" في معناها القديم وثيقة الصلة بكلمة "عَمَرَ" فقد ورد في لغة التنزيل قوله تعالى: "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها" ٦١ سورة هود. ومن غير شك أن إرادة الجديد لكلمة "استعمار" كانت بقصد أن تكون الكلمة ذات دلالة اصطلاحية خاصة.

ولنعد إلى عبارة الصحيفة التي أثبتناها لنقف على "التقنيات" فنقول:

شاء المعنيون بالتعريب الحريصون على العربية أن يكون المصطلح بكلم عربي، وهو عندهم ألصق بالعربية من حيث إنها لغة عامرة تشتمل على الفوائد الجمة، ومن أجل ذلك كانوا مدفوعين إلى أن يكون المصطلح الجديد كلمة عربية، ولا يصار إلى الكلمة الأجنبية إلا اضطراراً.

لقد أرادوا بـ "التقنيات" "Les technologies"، وتشبثوا بمادة عربية وهي "تِقْن" بكسر التاء، وتفيد الرجل العارف الماهر في الصنعة والعمل.

أقول: ولا يمكن أن تكون "التقنيات" تعريباً للكلمة الأجنبية والقاف فيها يقابل الكاف. هذا غير صحيح لأن "التقن" بمعنى الماهر الصنَّاع هو من الفعل "تقن" الذي جاء منه "أتقَنَ". وعلى هذا لا يمكن أن يكون هذا المصطلح العربي مؤدياً ما تؤديه "التكنولوجيا". وكأن المعربين لم يهتدوا إلى وجه "التقنيات" وصيغتها وذلك أن منهم من ينطقها بتشديد النون، ومنهم من يخفف النون.

ثم ما لبث أن كان هذا المصطلح العربي من الكلم المهجور، فقلما نبصره في الكتب وغيرها من مصادر العلم. وعادت "التكنولوجيا" وكأن المعربين رضوا بها فجعلوها معرَّبة على صيغتها ولم يغيّروا فيها شيئاً.

وإذا كانوا قد قبلوا "التكنولوجيا"[٩] ولم يغيروا فيها شيئاً، فقد قبلوا مواد كثيرة نجدها في الصحف وغيرها فما زلنا نرى في "التلفاز" الكثير من ذلك كقولهم في المصطلح السينمائي "سيناريو"، كما نجد "الأوتوستراد"، و"الاستاد" القومي لكرة القدم، ولو أردنا أن نعرض لهذا لطال بنا الكلام.

وشيء آخر في لغة الصحف يتسم بالجدّة والطرافة، وهذه الجدَّة هي توليد دلالة جديدة ومنها:

١- "إننا نقرأ في صحف هذه الأيام: أن السلطة الحاكمة قد "تحفَّظَت" على رئيس النقابة الفلانية، و"التحفّظ" هنا لا يتصل بمادة "حفظ" ذلك أن المراد بـ "التحفظ" السجن أو نحو ذلك.

٢- ونقرأ في صحف هذه الأيام: ينبغي "ترشيد" الاستهلاك.

أقول: و"الترشيد" مصدر الفعل المضاعف "رشَّد"، ولا بد أن يكون في "الترشيد" شيء من "الرُّشد" وما يتصل بهذه الدلالة. غير أن المراد بـ "ترشيد الاستهلاك" وهو "تقليل" الاستهلاك".

وكأن معنى "التقليل" في استهلاك الغذاء قد يثير في النفوس ما يسوء ولذلك يحسن التعمية في هذا الشأن، والإيماء إليه بشيء ضدّه تقريباً.

٣- ونقرأ أيضاً ما يشبه هذا من حيث "الإيماء" إلى المعنى المقصود وهو قولهم: لجأت السلطات إلى "تحريك" الأسعار.

أقول: و"التحريك" مصدر للفعل "حرَّك"، ولكن هذا "التحريك" لا يعنى صراحة معنى الحركة، بل إنه يعني "رفع الأسعار"، ولما كان "رفع" الأسعار مما

---

(٩) أليس دليلاً على أنها عرّبت دخول الألف واللام عليها "التكنولوجيا" نظير الديمقراطية والارستقراطية وغيرهما.

يمكن أن يثير الجمهور ويزعجه، لجأ أهل الرأي إلى الاستعانة بضرب من التعمية والإيماء فقالوا: "تحريك" الأسعار هَرَباً مما تؤدي إليه كلمة "رفع".

٤- ونقرأ أيضاً:

إن جهات عدّة قد عملت على "احتواء" حركة التمرّد في صفوف فصائل المنظمة: والمراد بـ "الاحتواء" هنا السيطرة والغلبة والوصول إلى حل في الأزمة مثلاً.

أقول: وإعطاء "الاحتواء" هذه الدلالة هو شيء جديد عرفناه في لغة الصحف. وأصل "الاحتواء" معروف يقال: احتوى الكتاب عدة أبواب مثلاً، بمعنى اشتملَ على.

أقول: إن جملة هذه "المجازات" والاستعمالات قد استقريته من الصحف في بلدان المغرب العربي بأقاليمه الثلاثة (تونس والجزائر والمغرب). وقد يكون مفيداً جداً أن أعرض لشيء آخر مما وقفت عليه في صحف المشرق العربي. ولا أريد أن أخصَّ بلداً بعينه، فهي في جملتها تميل إلى التوحُّد، وليس من خصوصية خاصة في هذا البلد أو ذاك.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن لغة الصحف في المشرق العربي كما هي في المغرب تتميز في أنها:

١- تزخر بالتعابير الجديدة، والمجازات الجديدة، وكله مأخوذ من اللغات الغربية. وهذا الذي يأتي من هذه المصادر قد يوافق العربية بوجه من الوجوه على سبيل التوسع والاستعارة، وقد يكون مجافياً للعربية، بعيداً عنها، ولكننا ألفناه.

إن هذه المولّدات من الألفاظ والتعابير والمجازات والجمل كثيرة، وقد يكون منها كتاب برأسه، أو قل: معجم جديد يشتمل على ما في الصحف وغيرها.

٢- إن الذي نجده في الصحف يبتعد أحياناً عن نحو العربية وأبنيتها. وسنعرض لجملة ذلك فنقول:[١٠]

١- يجب أن تتصرف الدولتان الأعظم ازاء بعضهما على نحو أفضل..

أقول: إن فيما جاء في الصحيفة اليومية في خبر "الدولتان الأعظم" ما لا تسيغه العربية فإن كلمة "الأعظم" هي الصفة المفيدة للتفصيل، وهي محلّاة بأداة التعريف، وفي هذه الحال لا بد من المطابقة بين الصفة والموصوف، فكان ينبغي أن يقال: "الدولتان العظيمان" والمطابقة ما كان منها في التذكير والتأنيث.

وقد تعرف سبب ارتكاب هذا التجاوز إذا أدركت أن صاحب هذا الأسلوب قد نقل ما قرأه في الصحف الأجنبية الغربية ولا سيما ما كان منها باللغة الإنكليزية، وفيها أن الصفة في هذا المقام تبقى على حالها.

٢- وأقرأ قولهم:

وما زال علينا أن نقف في وجه المؤامرات...

أقول: إن الكاتب الصحفي مترجماً كان أن غير مترجم غير ملمّ بالعربية، ولعله مثله في تلك اللغات الأعجمية، ثم إنه لا يعرف من العربية إلا الأشتات التي تلقفها في المرحلتين: الإعدادية والتوجيهية، وذلك بضاعة مزجاة.

إنه في هذه العبارة يستعمل "ما زال" ولا يأتي لها بخبر تتم به الفائدة. ولا أعرض لكلمة "المؤامرات"، وهي جديدة، بمعنى الأحابيل التي يحوكها رجال السياسة وغيرهم في سلوكهم لتحقيق ما يبتغون.

---

(١٠) هذه نماذج قليلة من كثير غيرها لم أدخله في هذا الموجز، ومن أجل ذلك أعفيت نفسي من التزام ترتيبها معجمياً على نمط من الأنماط، بل سأعرضها كما وقعت لي وأنا أقرأ الصحف في هذه الأيام.

أقول: إن في العربية ما يعين على استحداث هذا الجديد، ذلك أن في مادة "أمر"[١١] شيء يصار به إلى هذا.

٣- وجاء في صحيفة من صحفنا الأردنية قول أحدهم:

".... وانبّه على قلمي أن يترك الزمن الرديء...."

أقول: هذا أسلوب لا نجده إلا لدى المتساهلين بالعربية من كتاب العهد الجديد. وقد أقول: أن ليس في العربية من ضير في هذا، ولكن لو كان هذا الكاتب قد وصل إلى هذا الجديد بيقظة وإدراك ومعرفة بالأصول والفروع.

إن استعمال "على" مع "التنبيه" يشير إلى الهفوات والغلطات، ومن هنا ورد في أسماء كتبهم:

١- التنبيه على حدوث التصحيف لأبي أحمد العسكري.

٢- التنبيه على أغاليط الرواة لحمزة الأصفهاني.

ولو عدلنا عن استعمال "على" مع "التنبيه" إلى حرف الجر "إلى" لكان ذلك دالاً على غير الخطأ والغلط، كأن يقال: التنبيه إلى عمل البر والإحسان، مثلاً.

إن استعمال "على" في كثير من مجالات القول مؤذن بالشرّ والأذى والاستيلاء[١٢].

---

(١١) ومن ذلك ما ورد في الآية الكريمة: ﴿قال يا موسى إن المَلَأَ ليأتمرون بك ليقتلوك﴾، ٢٠ سورة القصص". وجاءت "المُؤامرة" في النصوص العباسية بمعنى ما يقدمه الرجل إلى الأمير والحاكم من طلب يلتمس فيه قضاء حق له، وهي "العريضة" في العربية المعاصرة.

(١٢) ذكر هذا الأستاذ الدكتور مصطفى جواد في كتابه "المباحث اللغوية في العراق" ص٤٣-٤٤ وأشار إلى جملة كبيرة من الأفعال ومنها: قالوا: جرى على فلان أمر (أي أن فيه ضرراً) وكذلك أعانه وأعان عليه، ومال عليه، واضطغن عليه، وتنادر عليه، وقال تعالى: "وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل" ووجَبَ عليه، وضرب عليه ضريبة، واعتدى عليه، وانتقد عليه قوله، وأخذ عليه شيئاً، ودسَّ عليه، وتجنّى عليه، وكذب عليه، واختلق عليه، ونمّ عليه، وعَتَب عليه، وتقوّل عليه، وغير هذا كثير.
أقول: ومن هنا نفهم أن اللغويين النقاد عابوا على أبي تمام مطلع قصيدته:
"على مثلها من أربُع وملاعب" ..... فقالوا: المطلع غير موافق لأن الشاعر يمدح فلا يستحسن منه استعمال على الذي يؤذن بالشرّ، ومن هنا أخل الشاعر بمقتضى الحال.

٤- ونقرأ أيضاً قولهم كثيراً:

".... وأكد الرئيس فلان على عروبة لبنان...."

أقول: استعمال "أكد" على هذا النحو، وهي تصل إلى مدخولها باستعمال "على" ليس من العربية، والفعل متعد في العربية، وكان ينبغي أن يقال:

"أكد الرئيس فلان عروبة لبنان..."

وهذا التجاوز على المألوف من العربية كان بسبب أن الكلام كثير في اللغات الغربية ولا سيما الإنكليزية والفرنسية، والفعل في هاتين اللغتين يصل إلى مدخوله بالحرف "على".

٥- ونقرأ أيضاً قول أحدهم:

" إن ما يدور على البوابة الشرقية من معارك...."

أقول: و "البوّابة" من الخطأ الذي استحدثناه، وليس فينا حاجة إلى توليد "البوّابة" التي هي في الأصل مؤنث "بوّاب" وهو "الآذن" القديم الذي يلزم باب الأمير أو الوزير أو غيرهما، فالبوّاب صاحب الباب كالجزّار والنجّار والحدّاد، وحرفته "البوابة" كالنجارة والحدادة.

وابن البواب من أشهر الخطاطين البغداديين في عصر الدولة العباسية. ولسنا ننكر توليد الكلم الجديد، ذلك أن الحياة المعاصرة تفرض علينا إحداث آلاف المصطلحات في كل باب من أبواب المعرفة الجديدة.

٦- ونقرأ أيضاً قولهم:

"اتحدت الحكومات الغربية في عملياتها ضد الإرهاب....".

أقول: و"الضدّ" في العربية هو المِثل، والمخالف ضدّ، وكلمات "الأضداد" شيء آخر، وهو أن الكلمة تعني شيئاً وضده معاً كقولهم: الجَون للأسود والأبيض. ومثل هذا كثير. وهي هنا نعت، ولا تكون غير نعت، وقد تأتي للجمع، قال تعالى:

﴿ويكون عليهم ضدّاً﴾ ٨٢ سورة مريم

أما نحن اليوم فانحرفنا بالكلمة إلى استعمال جديد يبعدها عن النعت فتكون مصدراً كما في الجملة المثبتة.

٧- ونقرأ في الصحف ونسمع في الإذاعات قولهم:

".... وأتت الحرائق على كل شيء: البيوت، الأسواق، المحلات العامة والحقول".

أقول: إن استعمال "الواو" للعطف في آخر هذه الكلمات شيء لا تعرفه العربية والصواب إثبات الواو بين المعطوفات واحداً بعد آخر. وليس هذا الجديد إلا بسبب ما ألفوه في اللغات الغربية.

٨- ونقرأ أيضاً:

"لقد سعت السلطات إلى تمرير هذا المسألة في الدوائر المسؤولة..."

أقول: و"التمرير" مصدر الفعل "مرّر" الذي ولّده المعاصرون ليقابلوا نظيره في اللغات الغربية، وليس في العربية شيء من هذا وليس فينا حاجة إليه، وفي العربية الكثير مما يؤدي معنى "التمرير" كالتعدية وغيرها.

٩- ونقرأ قولهم:

"... وحدث هذا في إطار التوجّه الجديد للمؤسسة من خلال ما بدا من الحلول....".

أقول: "الإطار" في حيز هذه الجملة من الاستعارة الجديدة من اللغات الغربية ولا ينصرف الإطار في العربية إلى غير معناه الحقيقي.

ثم إن استعمال "من خلال" التي شاعت شيوعاً عجيباً من الاستعارة الجديدة أيضاً، وليس فيها شيء من معنى الظرفية الذي كان لها في العربية. وكأنها في الاستعمال الجديد تفيد ما تفيده لام الجر التي هي للتعليل والسبب، فكان ينبغي أن يقال:

"وحدث هذا في إطار التوجه للمؤسسة لما بدا من الحلول".

وقد جدّ في العربية المعاصرة مما نلحظه في الصحف الكثيرة مما يلتزم في مادة "التربية الرياضية"، فأنت تقرأ مجازات جديدة مما تساهل فيها أصحابها، وليس لنا أن نحملها على الخطأ، ومن ذلك:

أ- الكلية الجامعية تقيم صاعقة تنشيطية بكرة القدم.

ب- فريقا الأردن والسعودية يقصان "شريط" البطولة.

ج- البطولة "الكروية" لأمانة العاصمة، والفريق الكروي فيها...

د- التقى الفريق السعودي ونظيره "الإماراتي"....

ومن المعلوم أن "الإماراتي" اختصار لفريق دولة الإمارات العربية المتحدة لكرة القدم!!

وقد نختم هذا الموجز بإيراد هذه الغرائب التي نجدها، وهي إما توليد جديد، وإما وجه من وجوه القول لم نألفه، ومن ذلك:

التوتر، التشنج، ساعة الصفر، المناخ الأدبي، الصناعة الدجاجية، الهدوء الحذر، التشرذم، التقوقع، التحجر، الاستقطاب، التمحور، التصعيد وكثير غيره.(١٣)

---

(١٣) **إذا كان لنا أن نتقبل هذا الجديد على أنه لغة معاصرة بشرط خلوه من التجاوز على سنن العربية، فإننا نقيّده** بسياق خاص، ذلك أنه لا يجوز أن يدخل هذا الجديد مثلاً في خطبة في صلاة الجمعة. ألا نرى أنه من غير الحسن ما وقفت عليه من هذا، فقد كان لي أن سمعت من أحد الخطباء الجدد قوله في خطبة الجمعة "الأكثرية الساحقة" وعبارة المعاصرين "فلان يذرف دموع التماسيح" ذلك أن كليهما مترجم عن لغة أعجمية. وإذا جاز لكتّاب الصحف وجماعة الأدب الحديث أن يستعملوا هذا أو نظائره، فلا يجوز أن يتخطى هذا الجديد الوافد هذه المناسبات فيكون شيئاً في خطبة الجمعة مثلاً.

خاتمة:

ما كان لي أن أذهب في استقرائي هذا إلى الاستيفاء، ولكي آثرت هذه الأشتات مما هو مني على طرف التمام كما قيل. ولكني قصدت أيضاً من إثبات هذه النماذج إلى أن أقول: إن الحاجة إلى وضع معجم جديد للعربية المعاصرة وحدها شيء تفرضه الضرورة القائمة، ثم إن عملاً كهذا مما ينبغي أن يكون لننتهي في تاريخ العربية إلى استجلاء معالمها طوال العصور.